

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

تفرّع من العلوم العصرية مباحث مستقلة، يطلق عليها بعضهم اسم «العلوم» لاستقلالها بموضوعاتها الخاصة، ولكنها أحرى أن تسمى بالمباحث – كما يقول أستاذنا العقاد – رحمه الله، أو تسمى الدراسات العلمية، لأنها أقرب إلى التطبيقات التي تبنى على العلوم المتفرقة منها إلى العلم المنفرد بقواعده وتجاربه وأصوله<sup>(١)</sup>.

وعلى سبيل المثال يذكر العقاد في هذه الدراسات ما يسمونه بعلم السياسة الجغرافية، وهو غير الجغرافية السياسية وقد شاع شيوعا كبيرا بعد الحرب العالمية الأولى، لأن هذه الحرب قد أظهرت بالأمثلة الجلية فعل الموقع الجغرافي في توجيه السياسة الدولية وتوحيد خططها؛ وإن تبدلت حكوماتها بين امبراطورية وجمهورية أو بين حكومة مطلقة وحكومة دستورية<sup>(٢)</sup>.

ولا يلتبس موضوع الجغرافية السياسية، وموضوع الجغرافيا الصحفية في سياق كتابنا هذا، فإن الجغرافيا السياسية مبحث قديم يُعلّم الناس موضوعه المقل منذ زمن بعيد، أما الجغرافيا الصحفية، فالذين يدرسونها يهتمون قبل كل شيء بموقع البلد وصحافته، وأحوال الدولة، ونظم الحكم، وعلاقات التأثير والتأثر بالصحافة في البلدان الأخرى.

وتأسيسا على هذا الفهم، فإننا نطرح في هذا الكتاب مبحثا طريفا نسميه بالجغرافيا الصحفية أو بجغرافية الإعلام Geography of media، ويدلُّ هذا الاسم المقترح على موضوعه، بغير حاجة إلى التفصيل في شرحه. فإن هذا

(١) فن المقال الصحفى فى أدب عباس محمود العقاد: القاهرة؛ هيئة الكتابص ١٧٥

(٢) نفسه ص ١٧٥ – مجلة الأزهر/ سبتمبر ١٩٥٩.

الاسم يوحي بالعلاقة بين وسائل الإعلام ومواقع البلدان، ويدل على اعتقاد الباحثين فى هذا الموضوع أن للموقع شأنًا فى انتشار وسيلة من وسائل الإعلام، وإن للموقع شأنًا فى تقديم بعض هذه الوسائل على بعضها البعض وتغليب الإقناع أحيانًا على الإكراه.

ويرتبط بهذا البحث النظر إلى مدرسة المناطق أو الأقاليم فى الأدب وتطور فنون القول، من حيث انقسام هذه الفنون فى تاريخ الأماكن والأزمنة على أساس: العودة إلى الأرض، تمييزًا لها من ضروب الكتابة التى تصطبغ بالصبغة الصناعية، وتميزًا لها فى الوقت نفسه من أدب الطبيعيين الذين يتحللون من قواعد الفن ومن الغايات المثالية<sup>(١)</sup>.

ويرى العقاد أن مدرسة الإقليمية بهذا المعنى فيها جانب معقول «يقوم على رغبة حسنة فى التخلص من عيوب الصناعة وعيوب الحيوانية، ولكنه منتقد فى الوسيلة، وإن لم يكن منتقدًا فى الرغبة والغاية، لأن الصناعة مكسب للإنسانية لا يجوز إهماله. وجذور «الوحدة» فى الصحافة العربية، ترتبط بالبيئة المعنوية، التى نجد لها أوضح ما تكون فى «عقيدة التوحيد» التى تلفت هذه الأقاليم، وفى الثقافة المشتركة، وفى الحياة الاجتماعية المتقاربة، فإذا لمح الدارسون «فى هذه الوحدة عناصر افتراق بين الأقاليم فإن هذه العناصر لا تستطيع أن تتحكم فيها وأن تسودها، وهى ليست من العمق ومن الأصالة حتى تغيب وراءها عناصر الوحدة.»<sup>(٢)</sup>.

وأول عناصر الوحدة فى الصحافة العربية: العروبة، التى انطبع بها الفن الصحفى، ووسمت «الشخصية القومية» بسماتها الخلقية والخلقية، فأظهر الفن الصحفى العربى من سماتها تلك: سمة الانفعال والسرعة، على نحو ما نجد عند الشاعر القديم:

(١) العقاد/ السابق ص ١٥

(٢) شكرى فيصل المرجع السابق، ص ١٩٧.

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم      طاروا إليه زرافات ووحداناً  
لا يسألون أخاهم حين يندبهم      فى النائبات على ما قال برهانا

وإيثار العرب لبلادهم أبلغ وأصدق، فليس «بغريب على من أنبته الله على أرض اجتمع له على سطحها ماء جارٍ وظلٌّ وارف، ألا يؤثر عليها، وإنما الغريب على من ينبتة الله على أرض ترابها رمال، وماؤها سراب، وطيرها جراد، ثم لا يؤثر عليها ويؤثرها على جنات وعيون.

وهكذا خلق الله العرب أقنع بأوطانهم منهم بأرزاقهم، وعن ابن عباس أنه قال لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدُ الرزق<sup>(١)</sup>.

اتسمت «الوحدة» فى الأدب العربى، بسمّة أخرى على صعيد ما يسميه «إليوت»: «الفرقة والنحلة»<sup>(٢)</sup> فوجدنا أن العرب المسيحيين قد تفاقوا فى الدعوة إلى «الوحدة العربية» وأشادوا بدور العرب والإسلام فى الحضارة، ومن ذلك أن «إيليا أبو ماضى» أشاد بالعروبة التى تُظَلِّ برأيها المسلمين والمسيحيين جميعاً وتؤلف بينهم فى إخاء تام ومحبة وعمل مشترك فى سبيل مجدها. فنراه يخاطب إخوانه فى قصيدة يدعوهم إلى نبذ الخلاف الدينى وإلى التآلف فى الحياة فالأصل واحد وهو العروبة والانتماء إلى شجرتها العتيقة:

أتباع أحمد والمسيح هوادة      ما العهد أن يتنكر الإخوان  
الله رب الشرعيتين وربكم      فإلى متى فى الدين تختصمان  
مهما يكن من فارق فكلاكما      ينمى إلى تحطان أو غسان

وهكذا لم تقف الطائفية حاجزاً فى سبيل «الوحدة» فى الأدب العربى، بل سرعان ما أدرك مفكرو الإسلام والمسيحيين خطورة النعرة الطائفية على الدعوة

(١) إبراهيم الأبيارى، المرجع السابق ص ٤٢.

(٢) ت. س. إليوت المرجع السابق، ص ٨١.

القومية فأصبحنا نجد الدعوة عامة إلى اعتبار التاريخ العربي تاريخاً مشتركة للأمة العربية، واعتبر الرسول محمد بن عبدالله صلوات الله عليه نبي الإسلام زعيماً للعرب، وصار المسيحيون متحمسين للعروبة تحمس المسلمين أنفسهم وأشدّ، وظهر من بينهم شعراء كبار وكتاب أعلام وعلماء أفذاذ دافعوا عن العروبة عنصراً ولغة وقومية، وظهرت في الصحف العربية أسماء إيليا أبو ماضي، ونجيب الحداد، والأب انستاس الكرملي، وجورجي زيدان، والأب لويس شيخو، ونظرائهم<sup>(١)</sup> في الصحافة المصرية والشامية والبلاد العربية. ولازلنا نذكر قول أمير الشعراء أحمد شوقي:

الدين للدينان جلّ جلاله      لو شاء ربك وحد الأقواما  
يقول شوقي (المصري) في الثورة السورية:

سلام من صبا بردى أرى      ودمع لا يكفكف يا دمشق  
ومعذرة البراعة والقوافي      جلال الرزء عن وصف يدق

وفيها يقول بيته الشهير:

وللحرية الحمراء باب      بكل يد مضرجة يدق

وكان لمأساة فلسطين أثرها الكبير في النزوع نحو «الوحدة» في الصحافة العربية فشارك الصحفيون من جميع الأقاليم العربية في إثراء صحافة المقاومة، في فلسطين والجزائر، والحركات التحررية، على النحو الذي جعل «الوطن» كمصطلح لا يرتبط بمفهوم «التنوع»، وإنما أصبح يرتبط بمفهوم «الوحدة» فلم يصبح «الوطن» مصراً أو عراقاً أو شاماً، وإنما أصبح «الوطن العربي» شارة على الصحافة العربية مضمونا وشكلا.

وهن ذلك ما قاله الشاعر السعودي محمد حسن عواد في معركة القنّاة:

(١) د. محمد زغلول سلام المرجع السابق، ص ١٧.

والوعى عند بنى العرو  
هو فيهمو روح الجما  
من عهد إسماعيل أو  
همت به الأحساب قبل  
ودعاية الإسلام بالصو  
وإثارة الكناب والشعراء  
حتى تبلور فكرة  
تمشى به الأفراد فى  
وصفاله القوم الذين دعوا

بة شارة الرجل اللبيب  
عة ظل ينضح بالطيوب  
من عهد يعرب فى المحقوب  
الجاهلية للحسيب  
ت الجهير بلا لغسوب  
بالأدب المهيب  
وثابة العمل النجيب  
المعمور ينشر فى الشعوب  
إلى الحق الحبيب

ومن حيث الشكل فى الصحافة العربية، فقد وجدنا أن التجديد يمكن أن يُعدّ كذلك.. «مُعَاملاً» للوحدة فى العصر الحديث فقد تبادل الصحفيون فى الأقاليم العربية علاقات التأثير والتأثر. ومن ذلك أن فنون الإخراج والتحرير الصحفى وسمت التجديد فى الصحافة العربية فى جميع الأقاليم بسماتها المشتركة، وكان التأثير والتأثر متبادلاً بين الشام والعراق ومصر والسعودية والخليج والمغرب وغيرها من الأقاليم العربية.

ومن ذلك يتضح أن «التنوع» فى الصحافة هو فى إطار «الوحدة» وليس هناك مجال لإحياء النزعات الإقليمية المفتعلة لأن «التنوع» يؤدى فى نهاية الأمر إلى تحقيق المفهوم العلمى «للوحدة» كما يكسبها دعماً وإثراء فى إطار وحدة الثقافة العربية التى تفاعلت فيها مصادرها وتعاونت عواملها وتكاملت أركانها.

بهذا نستطيع أن نعلل تلك الظواهر التى اكتنفت «حب الوطن» فى الأدب العربى الذى أصبح قضية ذهنية وعلمية، يؤلف فيه، وتختظر به كتب وتستفتح به كتب وتنفرد به أبواب من كتب. «فابن عساكر» مثلاً حين يؤلف عن دمشق تاريخه الكبير يفرد جزءاً عن فضائلها ثم يمضى يجمع من نشأ فيها ومن دخل إليها ومن وصل حبلة بحبلها، وكذلك فعل «الخطيب» فى تاريخه لبغداد، وفعل كثير غيرهما.

ولعل في ذلك ما يفسر، ما ذهب إليه «إليوت» من أننا لا نعى عناية كافية «بايكولوجيات الثقافات»، ذلك أن «البيئة» تستطيع أن تقدم للصحفي معطيات متنوعة تسم الصحافة بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التي تكون مادة استمداد الصحفي أو تصبغه بصبغ من الأصباغ المحلية المختلفة، وقد يكون في معطيات تلك البيئة مادة خصبة للصور والأخيلة وضروب التصوير المختلفة (١).

ولذلك تذهب الجغرافيا الصحفية في سياقنا هذا إلى أن «لكل بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التي تنفرد بها، وتلك المزايا والخصائص هي التي توج الحياة الصحفية فيها وتؤثر في سيرها، وباختلاف هذه المميزات المادية والمعنوية تختلف حياة الأقاليم الصحفية.

ويذكر المؤلف أن الأستاذ العقاد، قد وجّه إليه سؤال، كذلك الذي تطرحه دراسة تاريخ الصحافة العربية، وفحواه:

- كيف تريد الصحافة في البلاد العربية؟

فقال رحمه الله:

- كما أريد البلاد العربية.. واختصر بذلك مراحل الطريق.

ذلك أن الصحافة المثلى كما يقول هي صحافة مستقلة في آرائها، مخلصه في نصائحها أمينة في أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

وفي مقدورك أن تؤدي هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة، وهي أن الصحالة المثلى هي صحافة الأمة المميزة الرشيدة.. والتميز في الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفضيلة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قومية الفطرة فلا تشترط فيها شروطا للصحافة لأنها لن تروج فيها إذا هي خالفت

(١) أمين الخولي الأدب المصري (القاهرة، دار المعرفة)، ص ٢.

شروط الاستقلال والأمانة، والخدمة القومية التى تقدم مصلحة الوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

فى الأمم التى يعوزها العلم والدراية السياسية يصدقون الرأى الأعوج ويكذبون الرأى المستقيم ويقبلون الباطل السخيف ويعرضون عن الحق المين، لأن تمييز الحق يحتاج إلى كفاءة ذهنية وفضيلة خلقية ولا يصل إليه المرء إلا بعد الموازنة بين الأسباب والمقابلة بين الأسانيد والبراهين والرجوع إلى المعلومات والسوابق الماثورة. أما قبول الباطل فلا يحتاج إلى شىء من ذلك.. كل ما يحتاج إليه جهل وكفى.. والجهل لا يتعلمه الجهلاء بعناء.

فى الأمم التى يعوزها العلم والدراية الفطرية، تستعر الخصومات الحزبية وتتجاوز الحدود، لأن الرأى العام لا يحسن الحكم الفاصل بين الخصوم ولا يدرك حقيقة الدعاوى والأقاويل، فلاتزال الخصومات قائمة، ولاتزال الأباطيل شائعة والحقائق مجهولة. ولو عرضت هذه الخصومات على جمهور يفتن إلى صوابها وخطئها لقضى على الخطأ وأخذ بناصر الصواب فى ساعة ظهوره، فأراح نفسه وأراح المختلفين من لجة الخلاف.

ونحن نلمح أثر التقدم فى صحافتنا كلما لمحننا أثر التقدم فى أقوامنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس، ونحن غدا - فيما نرجوه - خير مما نرانا اليوم.

ولا يخطئ المتعجلون فيقولون - إن صحافة الأمس لم تكن تعرف كل هذا التناذب بالتهمة والأكاذيب بين الأحزاب، إذ الواقع أنها كانت خلواً من ذلك لأن البلاد كانت خلوا من الأحزاب وكانت سياستها فى أيد غير أيدى أبنائها، فلما أخذت فى الاستقلال بشئونها والتنافس على زعامتها كانت العوارض الحزبية فيها علامة من علامات التقدم واليقظة، ولم تكن علامة من علامات النقص والرجوع إلى الوراء.

إلى أن يقول أستاذنا العقاد رحمه الله: «إننى صحفى، ولكننى لا أبالغ فى رسالة الصحافة ولا أؤمن بأن الصحافة وحدها كافية للقيام بأمانة التشقيف والهداية، ولو ارتفعت الأمة إلى أرفع مراتب الأدب والتعليم».

فى الأمم التى بلغت غايتها من العلم والتربية، تؤتى الصحافة من آفة التقدم لا من آفة الجمود، وتصاب من ذبوعها بعد أن كان الخطر كل الخطر أن تصاب من ضيق النطاق.

لأن الصحافة إذا انتشرت تعددت وتفرعت وظهرت لكل حزب صحيفة ولكل جماعة من الأمة لسان ينطق بما تريد، ويتفق كثيرا فى هذه الحالة أن تقرأ الجماعة صحيفتها ولا يتسع لها الوقت لقراءة الصحف الأخرى، فيفوتها أن تحيط بوجهات النظر كلها وتسمع أبداً من جانب واحد.. ولا تسمع من الجانب الذى يعارضه وبصحح أخطاءه.

وهذه آفة الارتقاء والانتشار.

والى جانب هذه الآفة آفة تظهر لنا قصور الصحافة عن الاستقلال بأمانة التشقيف والهداية، فهى على أحسنها وأفضلها لا تغنى عن ثقافة الكتاب لأن الطبيب مثلا يقرأ كتاباً ليستوفى البحث فى مسألة من مسائل علمه، ولكنه لا يعتمد على الصحيفة لأنها تنشر من حين إلى آخر فصلا فى الطب من هنا وفصلا فى الطب من هناك.. ويقال فى الأديب والفنان والمهندس والفقير ما يقال فى الطبيب.

فهما يبلغ من ارتقاء الصحافة غدا فى بلادنا العربية، فلنحسب حساباً لهذا القصور الذى يلازم الصحافة فى أرقى البلاد، ولنعلم أنها لن تنفرد وحدها بتكوين الآراء الصحيحة، ولا بد لنا من وسيلة غير الصحافة لدراسة المسائل العامة من جوانبها المتعددة أو لاستيفاء البحث فى شئون الثقافة وقضايا الاجتماع، وقد تيسر لنا هذه الوسيلة من طريق الكتاب، وطريق المذيع، وطريق الصور المتحركة فى بعض المناظر والروايات.

إذا كانت الصحافة لا تسبق الأمة دائما فهي قادرة على أن تسبقها في بعض الأوقات .

وإذا كانت لا تعدو أمامها بخطوات فساح، فعليها أن تمشى معها وفي مقدمة صفوفها، ولا تمشى وراءها أو تقعد مع الخوالب في آخر الصفوف .

وإذا كانت الصحافة تروج بمخاطبة العدد الأكبر من الغوغاء – فهي لا تخسر إذا خاطبت النخبة القليلة من الممتازين . بل تجمع بذلك زينة الاحترام إلى منفعة الرواج .

ولهذا يقع اللوم كثيرا على الصحفى العربى الذى يتوانى عما يستطيعه وهو غير عسير .

إنه لا يستطيع أن يسبق أمته فى كل نسخة من الصحيفة ولكنه يستطيع أن يسبقها فى بعض الأيام .

وهو لا يستطيع أن يهمل حساب الدهماء، ولكنه يستطيع أن يحسب حساب النخبة الفضلاء .

وهو لا يستطيع أن يثابر على المسير أمام الصفوف ولكنه يستطيع أن يتجنب المسير فى الصف الأخير .

والعاملون بالواجب الصحفى فى هذا الصدد ثلاث طبقات: طبقة محمد وطبقة تعذر وطبقة تلام .

فالتبقة التى محمد – وبالأسف قليلة

والتبقة التى تلام – وبالأسف – كثيرة .

والتبقة التى تُعذر وسط فى القلة أو الكثرة بين الطبقتين .

ولا نطيل فى التمثيل والاستشهاد، فيكفى أن نشير إلى معارض الآداب والعلوم والفنون فى الصحافة الغربية ونشير إلى أمثال هذه المعارض فى

صحافتنا الكبرى أو الصغرى على السواء . فهنا فى الشرق تحيا الآداب والعلوم حياتها بمعزل عن الصحافة كلها، حتى لو اعتمد المؤرخ على الصحافة وحدها فى تسجيل حركتنا الثقافية لخرج من صفحاتها جميعا صفر الوطاب، على خلاف صحافة الغرب التى تتابع كل حركة أدبية أو فنية، وتعنى بتخصيص الملاحق القيمة للنقد والدراسة والتلخيص، فلا يعنى المؤرخ أن يرجع إليها ويعتمد عليها فى الإلمام بالنهضة الثقافية على أى عهد من العهود.

إن الإصلاح فى الشرق عسير أو لايزال حتى اليوم أعسر مما ينبغى أن يكون . . . وإذا كان بعض الصحف عوننا على الإصلاح فبعضها عقبة فى طريق كل إصلاح . . . بل هى نفسها آفة من الآفات التى تحتاج من أجلها إلى جهود المصلحين .

والشرق كما نعلم موطن الأنبياء والهداة ودعاة الإصلاح، ونحن بهذا نفخر ومنه نستمد الثقة والعزاء . . . ولكننا كلما فخرنا بأنبياء الشرق وجب أن يكون الجهر بالصدق من مفاخرنا الأولى، وعظمة لنا ولا ريب أن يكثر بيننا الصالحون للنسبة، ولكن لولا صعوبة الإصلاح لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأطباء، ولولا سهولة الضلال فى الطريق لما تتابع الإدلاء .

هذا الإصلاح العسير هو الحقيقة التى نذكرها كلما ذكرنا عيوب الصحافة وما وراءها من عيوب الرأى العام، فنحن نطلب من جمهرة الأمة أن تصلح الصحافة ونطلب من الصحافة أن تصلح جمهرة الأمة، ونبحث عن الذين يصلحون الفريقين معا فنراهم أقل الدعاة أعوانا فى بلادنا . . لأنهم لا يرتفعون إلى مراتب الأنبياء ولا ينطقون بلسان السماء ومن كذب على السماء بدعواه فهو محتال يتلينا ببلاء جديد ولا يعصمنا من البلاء المقيم .

على أن الزمن ماض فى طريقه والإصلاح يمضى مع الزمن على هيئة ورفق تارة، وتارة على سرعة وشدة، وبمشيئتنا فى حين وعلى غير مشيئتنا فى أحيان .

وسنبغل ما نرضاه من العلم والهداية فتبلغ الصحافة ما يرضينا من الأمانة والسداد.

أما اليوم فحسبنا أن نريد منها ما يكون وأن نريد منها ما تستطيعه حيث تشاء... فإن عز عليها أن تسبق هوادى الأمة فلا ترجع إلى أذنبها، ولتجاوز خطاها كلما تآتى لها أن تتجاوزها، ولتنظر إلى علتها كما تنظر إلى سوادها. وإذا كانت مرآة تعكس ما يقابلها فلا تكن من تلك المرايا التي تطيل القصير وتقصّر الطويل أو تسمّن الأعجم وتعجف السمين، أو تشوه كل ما تراه من جميل ودميم فتلك هي مرايا الملاحى والمهازل التي يتسلى بها الفارغون. أما المرايا التي تلزمننا للجدّ والزينة، فهي التي تصف للعين كل ما تراه على سوائه، فنهتدى بها إلى العيوب كما نهتدى بها إلى الحسنات<sup>(١)</sup> .

وهكذا تظهرنا صورة التاريخ الصحفى فى الوطن العربى على مفهوم «الوحدة» فى أنقى صورته، وهو المفهوم الذى لخصه الزعيم جمال عبدالناصر رحمه الله فى مقال نشرته مجلة الهلال - عدد يناير ١٩٥٧، حين يقول:

### العرب أمة واحدة(\*)

هذه حقيقة مؤكدة، لا تتقضى دعوى مدع فى الشرق ولا فى الغرب، فالعربى فى مصر أخو العربى فى نجد، وفى صنعاء، وفى بغداد، وفى دمشق، وبيروت، والدار البيضاء من أقصى المغرب.

أبونا واحد «وإن زعم من زعم أننا لأبء، ووطننا واحد، وإن حاول الاستعمار بوسائله أن يجعله أوطانا، وهدفتنا فى الحياة واحد، وإن جهل باحث فى الشرق أو فى الغرب، وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة.

على أن وحدتنا لو لم تكن وحدة جنس ولا وطن ولا هدف لكانت وحدة آلام... فإن أخوة الشعوب بالآلم تَرَبَطْنَا قَلْباً إلى قلب من شاطىء الخليج العربى

(١) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد ص ١٤٤.

(\*) منشورة فى الهلال الصادر فى يناير ١٩٥٧.

إلى شاطئ الأطلسى، فما يكادُ عربيُّ يشكو ألماً حتى يتداعى له سائرُ العربِ  
من قريبٍ ومن بعيدٍ بالسَّهرِ والحمى .

وإني لأعجبُ كيفُ عشنا، نحنُ العربُ، قُرُوناً غافلين عن هذه الحقيقةِ  
الصريحة، فأتخنا للأجنبي الدخيل بيننا أن يغلب، ويتسلط، ويتوزع بلادنا في  
مناطق نفوذ، ويجعلنا في سوق السياسة تجارة، وفي أتون الحرب وقوداً

أكان ذلك لأن طائفة من سادتنا وكبرائنا فى عهد مضى أغواهم الترف،  
وخدرتهم النعمة، ففسقوا، وضلوا، وركبوا إلى الباطل كل مركب، فحقت  
عليهم كلمة الله، وحقت علينا، وأظلتنا فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة .

ولكننى لا أريد أن أعود إلى الماضى، فقد ذهب ذلك الماضى بما فيه،  
فلاعودة له، وإنما نحن أبناء الساعة، والحقيقة واضحة صريحة أمام أعيننا،  
فماذا فعلنا، وما نريد أن نفعل لتؤكد هذه الحقيقة الصريحة الواضحة، ونحوِّلها  
من شعور وعاطفة، إلى جهد وعمل .

إننا نستطيع بوسائل كثيرة أن نحقق وجودنا الإنسانى فى الجماعة البشرية  
العامة، وأن نحدد مكاننا، بإرادتنا لا بإرادة غيرنا .

إننا نملك من أسباب القوة ما نحقق لنا السيادة الكاملة، وقوة التوجيه  
للسياسة العالمية العامة .

إن بلادنا فى مكانها المتوسط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، لتقع  
بين دول العالم فى مثل مكان العاصمة من الدولة، فلماذا لا يكون لنا مثل  
مكانة العاصمة من قوة التوجيه لسائر بلاد الدولة الإنسانية العامة؟

وإن فى أرضنا وسمائنا وبحرنا وبرئنا قوى ضخمة، لم تزل أمم كثيرة فى  
الشرق والغرب تلمس الأسباب للظفر ببعضها فلا تنهيا لها، فلماذا لا نحاول  
بما نملك من هذه القوى أن يكون لنا الرأى والتوجيه فى العالم، ليتحقق بنا  
الخير وللإنسانية؟

وإننا لنملك من قوة الروح، ومن الإيمان بالله، ومن الشعور بمعاني الإخوة الإنسانية بين البشر، ما يمكن أن يصنع بنا في العالم تاريخاً إنسانياً جديداً مثل التاريخ الذي صنعه أسلافنا منذ ألف وثلاثمائة سنة، فلماذا لا نشرق على العالم مرة أخرى برسالة السلام والرحمة، وناموس الأخوة والمساواة، لنمحو ما ران من ظلمات الباطل على عقول وقلوب لا تؤمن إلا بالمادة؟

وإنَّ لنا قِبلةً نحجُّ لها، وتوجهُ إليها في صلواتنا... يريد به الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا، نحن العرب، أن الإنسانية لا تبلغ كمالها إلا حين تجتمع القلوب على هدف، وتتوحد جماعتها إلى قِبلة، فلماذا لا تكون قبلتنا أن نجعل للإنسانية الضالة كعبة؟

لقد نزل علينا الوحي ذات يوم، لنقودَ الإنسانيةَ إلى مرادها، فكانت حضارة الإسلام التي أنقذت العالم من ظُلمات الضلال والجهل والفتنة، وإن وحيًا جديدًا لينبثق اليوم في قلوبنا لنقودَ الإنسانيةَ مرةً أخرى إلى مرادها، فما أخرى دعوتنا أن تبُلِّغَ اليومَ مبلغَها من القلوب والعقول، وقد أشرف العالمُ على الانحلال، لِنُنقِذَهُ من ظلماتِ الضلال والجهل والفتنة.

وإننا لنرى كلَّ يومٍ بُرهاناً جديداً على إمكاننا وقدرتنا وطاقتنا المادية والمعنوية، وهذا السائلُ الأسودُ الذي ينبثقُ اليومُ في أرضنا، فيشتعلُ ناراً ونوراً، وإنتاجاً وحركة، ويجعل أفئدة من الناس تهوى إلينا وتسعى في مرضاتنا، وتلتمسُ أسبابَ الرِّزْقِ بيننا لِيُقَدِّمَ لنا برهاناً جديداً على ما نستطيع أن نفعله لو أننا استكملنا أسبابَ الإيمان بأنفسنا.

ولن نستكمل أسبابَ هذا الإيمانِ حتى نُؤمِّنَ ابتداءً بأننا أمة... أمة واحدة.

وعوامل «الوحدة» في الصحافة العربية يمكن أن تلخص فيما يلي:

- الأمة العربية أمة واحدة في الجنس والهدف والوطن، على الرغم من دعاة التفرقة، وهم المستعمرون.

- على أننا لو لم نجتمعنا وسائل هذه الوحدة، لكفانا ما يجمعنا من آلام قد

قضى الله أن يؤلفنا الجرحُ وأن نلتقى على أشجانه كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عُمانه.

واجهت الصحافة في تاريخها سيطرة الأجانب على بلادنا، وسعيهم جاهدين لتمزيق وحدتنا، واستغلال خيراتنا، وبذر بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد، كما اتخذوا بلادنا ميدانا لحروبهم، نصطلى نارها بسبب أطماعهم.

**تمتاز البلاد العربية بأسباب تكفل لها القوة والسعادة:**

أ – توسط موقعها بين الشرق والغرب فهي بحق ملتقى طرق العالم، ومعبر تجارته، وممر جيوشه.

ب – قوانا الضخمة في السماء والبر والبحر، أما سماؤنا فصالحة للطيران لصفائها، وأما أرضنا فممهدة للسير عليها، غنية بكنوزها من بترول ومعادن. . . وأما البحر ففي حوزتنا منه ما ربط العالم ببعضه ببعض، فوق محتوياته.

ج – تمتعنا بقوة الروح المستمدة من الإيمان بالله، ومن الشعور بمعاني الأخوة الإنسانية.

د – وحدتنا في القبلة التي نحج إليها، وإليها نتجه في صاواتنا، تدفعنا إلى اتحاد الهدف.

هـ – في الوحي القديم ما يوقظ فينا وحيًا جديدًا لقيادة الإنسانية إلى الهدى.

و – تفجر البترول في أرضنا أكبر دليل على قوتنا، لو آمنا بأنفسنا.

هكذا نريد لصحافتنا أن تصور هذه الحقيقة.

ونسأل الله تعالى التوفيق، فجلّ من لا يخطيء تحيزًا أو قصورا في عالم

البشر.

**عبدالعزیز شرف**